الجزء الخامس – الخطبة رقم ١٤

مواقف في الفتن – ٤

الخطبة الأولى

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ **ومن مواقف الفتن** الحذر من الإيغال في شأن الرؤى المنامية وجعلها حديث مجالس فتبنى عليها آمال ويخشى بل قد يقطع بها على حدوث آلام.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ إن مما يلحظ في زمن الفتن والنوازل الإكثار من الحديث عن الرؤى المنامية وانتشار خبرها ومسارعة الألسنة في بثها وسرعة وتلقف الآذان لها حتى أصبح الحديث عنها أكثر من الحديث عن النصوص الشرعية قرآنية كانت أو نبوية بل قد يسارع بعض الغيورين إلى الجزم بوقوع ما عبرت به الرؤيا جزماً قطعياً دون تردد أوشك، وهذا المنهج ذو عوج وبيان ذلك من أمور:

أولها: أن الرؤيا داخلة في دائرة الظن إلا بقرائن.

ثانيها: إذا تنزل بصدق الرؤيا - فكيف يسلّم ويجزم بصحة تأويلها، وأن هذا التأويل لا محيد عنه ولا مناص عنه.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ كم سمعنا عن رؤى عبرت، وجزم بتعبيرها وأحياناً بتاريخ معين، وتعلقت قلوب الكثيرين بذلك، وبعد التبين ظهر أن ذلك التعبير والتأويل ضرب من التخرص والتسرع.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ وليس العجب في ذلك المتأول المتخرص المتسرع بالجزم، إنما العجب في سرعة خبر النقلة عنه وإشاعة تأويله وكأنه آية، بل آية محكمة لا تقبل النسخ، لكن هذا العجب يزول إذا علمنا أن أسباب ذلك المتسرع في التأويل أو ذلك التسرع في نقل الخبر يعود إلى محاكاة العواطف الجياشة مع ضعف البضاعة العلمية.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ إن من المعلوم بنصوص الشريعة أن ما يراه النائم فيه ما يكون برؤيا صادقة وفيه ما يكون حديث نفس أو أضغاث أحلام، ثم ما يراه من الرؤى الصادقة قد تكون دليلاً على خير فيتفاءل، وقد تكون دليلاً على نذير شر فيحاذر، لكن المحذور هنا أن يجزم بوقوع تلك الرؤيا وتحديد زمانها، فذلك من الخلل بمكان ويزيد ذلك الخلل إذا بني على تلك الرؤيا أحكام شرعية.

(١) الاعتصام ٣٥٧/١

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ لقد أوضح أهل العلم وبينوا ما يتعلق بالرؤى لعموم البلوى بها وكان مما خصوه بالتنبيه والتحذير بناء الأحكام عليها، فمن ذلك ما قاله الشاطبي رحمه الله تعالى:(وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنة، نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ولا يبنون عليها أصلاً، وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها والله أعلم)[1].

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ **ومن مواقف الفتن** والنوازل، الحذر مما وقع فيه بعض الناس من تداول الأحاديث المكذوبة وبخاصة في أوقات الفتن، فغرائز كثير من الناس تدفعهم إلى التشوق لتلك الأحاديث ويزداد تشوقهم إليها وتعلقهم بها إذا تضمنت تلك الأحاديث ما يقارب النازلة ويشابهها لفظاً أو مكاناً أو زماناً مما يجعل لتلك الأحاديث رواجاً وتأثيراً في أوساط الناس.

ألا فاحذروا شباب الإسلام من الاستشهاد بأحاديث لا تعلمون صحتها وبخاصة في أوقات الفتن والنوازل فإن نفوس كثير من الناس تتوق إلى كل ما له علاقة بنازلتهم فما أن تتلقف أسماعهم خبراً حتى يتسابقون في نشره وإشاعته مشافهة ومهاتفة ومكاتبة.

معاشر شباب الإسلام: لقد أكثر علماء الإسلام بعامة وعلماء الحديث بخاصة من بيان خطورة سياق الأحاديث ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون علم بثبوتها، إمامهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:"إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ثم ساق مسلم رحمه الله تعالى ما أوصى به إياسٌ بن معاوية سفيانَ بن عندما قال له إياس:(احفظ علي ما أقول لك: إياك والشناعة في الحديث فإنه قلما حملها أحد إلا ذل في نفسه وكذب في حديثه)

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:(ومعنى كلامه أنه حذره أن يحدث بالأحاديث المنكرة التي يشَنّعُ على صاحبها ويُنكَر ويُقبَح حال صاحبها فيكذّب أو يستراب في رواياته فتسقط منزلته ويذل في نفسه" انتهى كلامه رحمه الله تعالى، وكلام العلماء المحدثين في هذا الباب كثير جداً.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ **ومن مواقف الفتن** الحذر مما وقع فيه بعض الصالحين عن حسن نية مصحوبة بجهل وعاطفة، ذلك الأمر هو استحسان أمور وإشاعتها بين الناس والوصاية بها دون سؤال العلماء عنها، كقول بعضهم:(وحّدوا الدعاء هذا اليوم على عدوكم) أو (وحدوا دعاءكم عند إفطاركم) أو (صوموا غداً تضامناً مع إخوانكم).

(١) الاعتصام ٣٥٧/١

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ إن من الواجب شرعاً لزوم النص الشرعي وعدم مجاوزته، ويزداد ذلك الواجب تأكيداً في أزمنة الفتن والنوازل، ذلكم لأنه كما قيل:(عند النوازل تذهل النفوس عن النصوص) فقد تغلب المرء عاطفته أو قناعته أو محاكاته لآخرين فيكون منقاداً لذلك ومستحسناً لما يزيد عاطفته وقناعته محاكاته، وهذا معاشر شباب الإسلام من الجهل والتسرع المدفوع بحسن القصد، ومن المعلوم شباب الإسلام بل من المقرر شرعاً: أن حسن القصد وصلاحه لا يشفع لحسن العمل وصلاحه، ومثال ذلك أيضاً أن يرى أحدهم منكراً فتثور حميته وغيرته فيقدم على الإنكار بلا علم ولا سؤال بل دفعته غيرته وغيرته إلى المبادرة بالإنكار والتغيير، فمثل هذا لا يشفع له صلاح قصده وقوة حميته وغيرته على طريقة إنكاره، وقس على هذا ما يتعلق بنشر الخير عموماً؛ فلا يجوز لأحد إحداث طرق وأساليب ما أنزل الله به من سلطان، ومما يزيد في الضرر الناشيء من جُرّاء ذلك إذا كان المتبني لتلك الأساليب من المحسوب على الصالحين.

ألا فليتق الله تعالى كل منا ف ينفسه وليحذر من مجاراة عاطفته وقناعته دون بصيرة بالعلم وسؤال أهله، وليعلم هذا وأمثاله أن من أسباب نشوء بعض البدع وخفاء بعض السنن، مطاوعةَ المرء لما تهوى نفسه وسلوك أي سبيل في تحقيق ذلك، ولا يخفاكم معاشر شباب الإسلام أن شر البدع وخيم ففي أول أمرها يستسهلها الناس ثم مع تواطء عملهم يستحسنونها ثم مع تقادم الزمن عليها يتمسكون بها بل ويدافعون عنها، ثم يزيد شرها وضررها إذا دخلت في أصول الديانة، ذلكم شباب الإسلام أن البدع إذا دخلت في الفروع سهلت مداخلتها في الأصول فهي كالجناية تكون في طرف البدن فيسري أثرها ويزداد ألمها حتى تنهك الجسد كله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية معدداً مفاسد البدع :(ومنها أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن حتى تجد كثيراً من العامة يحافظ عليها مالا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس، ومنها أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ويفعل فيها ما لا يفعله في الفرائض والسنن حتى كأنه يفعل هذه البدعة عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة، وهذا عكس الدين، ومنها ما في ذلك من مصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وما يترتب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين... إلى أن قال رحمه الله تعالى:(ومنها مسارقة الطبع إلى الانحلال من رتبة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم) ثم قال رحمه الله تعالى:(ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) انتهى كلامه رحمه الله تعالى، وهو كلام يدل على عمق في فهم نصوص الشريعة ومقاصدها فرحمه الله تعالى وأجزل مثوبته.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ والذي يرى حال انتشار البدع في عالمنا الإسلامي يرى مصداق ما ذكره شيخ الإسلام؛ فللبدع رايات مرفوعة وأعلام منصوبة، والمنكر على

(١) الاعتصام ٣٥٧/١

أصحابها مذموم مدحور عند اتباعها، ذلكم لأنهم رضعوا ألبانها صغاراً وتمكنت من نفوسهم شبابا وأصبحوا من المقيمين عليها الداعين لها شيباً وشباباً.

اللهم ارزقنا سلوك الصراط، وجنبنا سبل البدع والضلال، أقول قولي هذا وأستغفر الله

الخطبة الثانية

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ **ومن المواقف في وقت الفتن** والنوازل الحذر من العجب، معاشر شباب الإسلام: وللعجب في أوقات الفتن صور كثيرة؛ فمن صور العجب/ الاعتداد بالرأي واتهام المخالفين، ومن صور العجب/ عدم سماع النصح من المخالف له في بعض رأيه فضلاً عن المخالف له في رأيه كله، ناهيكم عن جداله بالتي هي أحسن، ومن صور العجب/ عدم التراجع عن الخطأ عند بيان أخطائه وفساد تصوراته وتوقعاته، فيصعب عليه التراجع بل تأخذه العزة بالإثم فيلتمس الأعذار لنفسه ويبحث عن المآخذ على رأي مخالفه، ومن صور العجب أيضاً/ الفرح بمن يؤيد قوله وموالاته، والكدر بمن يعارض قوله ومعاداته.
معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ ويجمع هذه الصورة وغيرها قوله صلى الله عليه وسلم:"الكبر بطر الحق وغمط الناس"

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ **ومن المواقف في أوقات الفتن** والنوازل الغفلة والإهمال عن كثير من الأعمال الصالحة على حساب كثرة الكلام أو فضوله، ففي موطن الفتن والنوازل تشغل كثير من النفوس بتتبع الأخبار بل وبالتولع والرغبة الجامحة في متابعة أقوالها وصورها ومن ثم تكون حديث مجالسة وتكون هجيراه صباحاً ومساءً: سمعت ورأيت وأتوقع ولو كان كذا لكان أولى، ولو قدم هذا لكان أحرى، ولو أخر هذا لكان أجدر، فيبقى هكذا طيلة أيام النازلة مما يجعله يغفل عن كثير من الطاعات المستحبة بل قد يصل أحياناً إلى التفريط أو التأخير عن بعض الواجبات الشرعية كنوم عن فريضة بسبب طول السهر، وتأخر عن فريضة بسبب طول الجدل، وتأخر عن دوام وظيفي والإخلال به، ناهيكم عن تضييع بيته وأولاده، وكل ذلك بسبب كثرة سهر في قيل وقال، أو متابعة قنوات أو الإغراق في تصفح جرائد ومجلات، ولا تسأل عن بعض أولئك الذين وصل بهم الحال زيادة على ما سبق إلى التعلق بتلك القنوات تعلقاً تاماً حتى ملكت عليه نفسه ووقته حتى بلغ بهم الأمر إلى حد الإدمان والانقطاع الكامل في متابعة تلك القنوات، والتنقل بين مواقعها فأصبح أسيراً لها لا يستطيع الانفكاك عنها ولا التخلص منها، فالحذر الحذر معاشر المسلمين، الحذر الحذر شباب الإسلام من ذلك كله فإن كان لا بد فليكن الأمر بقدر وحذر مع مراعاة المصالح الشرعية.

(١) الاعتصام ٣٥٧/١

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ **ومن مواقف الفتن** والنوازل الحذر من الإيغال في التفاؤل والجزم بالوعود والنتائج وتأكيد ذلك للناس تأكيداً قطعياً لا شك فيه ولا ريب منه، ومثال ذلك في هذه الفتنة قول بعضهم بأن هذه الحرب هي نهاية تلك الدولتين الكافرتين المتحالفتين على العراق، وأنهما لن تقوم لهما قائمة بعد الحرب، وستنتهي هيمنتهما وبطشهما.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ كل غيور يتمنى النصر للإسلام، والخسران لأعداء الإسلام، لكن التفاؤل الزائد والجزم القاطع بالنتائج فيه رجم بالغيب، وقد يكون فيه نوع من التألي على الله، وفيه أيضاً إدخال للتقاعس واليأس في نفوس أولئك الناس الذين بنوا على كلامكم آمالاً وأخذوا كلامكم بالتصديق الجازم، واعلموا معاشر المسلمين أن ذلك دليل على ضعف في العلم وضعف في البصيرة، ألا فليتق الله ذلك المتسرع في قوله وجزمه، وليعلم أن هذا المنهج فيه خلل عقدي، إذ كيف يؤمل الناسَ ويرجم بالغيب ويقطع بنهاية ذلك العدو الكافر بمجرد عاطفة واندفاع لم يزم بزمام النص الشرعي، وكان الأولى به وبأمثاله أن يذكر الناس بالأخذ بجانب التوكل والثقة بالله وملازمة الدعاء والضراعة سواء هزم العدو أم فاز، كما عليه أن يذكّر الناس بترك المعاصي وفعل الأسباب التي تنهض بهم وبأمتهم في مواجهة عدوهم، وأن يحذر هو بنفسه ويحذرهم من استعجال النتائج فذلك ليس له ولا لأحد من الناس "وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ".

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ **ومن مواقف الفتن** الحرص على وصاية نفسه والناس بالتضرع والدعاء، فالدعاء والضراعة إلى الله تعالى من أسباب كشف الغمة وتفريج الكربة "ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ❖ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون" "وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون" "ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون".

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ في مواطن الفتن تشغل نفوس كثير من الناس بتتبع الأخبار والتعاطف مع إخوانهم ومتابعة أحوالهم، وهذا دليل توثق عرى الأخوة الإسلامية لكن هم بحاجة إلى مضاعفة العون المادي والمعنوي لهم، ومما لا يعجز عنه أحد سلاح الدعاء والضراعة إلى الله بنصرهم وكبت عدوهم، فالله الله معاشر المسلمين الله الله شباب الإسلام في المضاعفة من الدعاء بنوعيه دعاء المسألة ودعاء العبادة، فبعض الداعين يدعو بلسانه ولا يستشعر عظمة الدعاء وأثره بقلبه، وبعض الداعين يدعو بفتور وضعف لتعلقه بالأسباب المادية، وبعض الداعين يدعو وقد أيس نفسه لقوة العدو وكثرة عتاده.

(١) الاعتصام ٣٥٧/١

معاشر المسلمين: إن مثل هذه الأحوال تدل على ضعف البصيرة وقلة العلم، فيا شباب الإسلام عظموا شأن الدعاء في نفوسكم ونفوس المسلمين، فكم من دعوة مظلومين مقهورين ضعفاء قد فرقت مجتمعين أقوياء، وكم من دعوة صادقة كشفت غماً وفرجت هماً.

قيل للإمام أحمد رحمه الله تعالى: يا إمام كم بيننا وبين عرش الرحمن؟ فقال رحمه الله تعالى:(دعوة صادقة من قلب عبد صادق) وصدق فيما قال رحمه الله تعالى فإذا صدق قلب العبد في مناجاته لربه فتح أبواب السماء لدعوته. وللحديث بقية إن شاء الله تعالى. اللهم أعز الإسلام والمسلمين...

(١) الاعتصام ٣٥٧/١